
دعاء إبراهيم
جنازة ثانية
لرجُل وحيد
متتالية قصصية

جنازة ثانية لرجل وحيد

متتالية قصصية

دعاء إبراهيم

التصميم الداخلي: إبراهيم إمام

طبعة أولى أكتوبر 2015

إبراهيم، دعاء
جنازة ثانية لرجل وحيد، متتالية قصصية،
ط1 دار الربيع العربي، القاهرة، مصر.
ردمك: 978-977-5221-37-7
رقم الإيداع(مصر): 2015/20176

الربيع العربي

للطباعة والنشر والدعاية والإعلان

المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم

002-01141411118

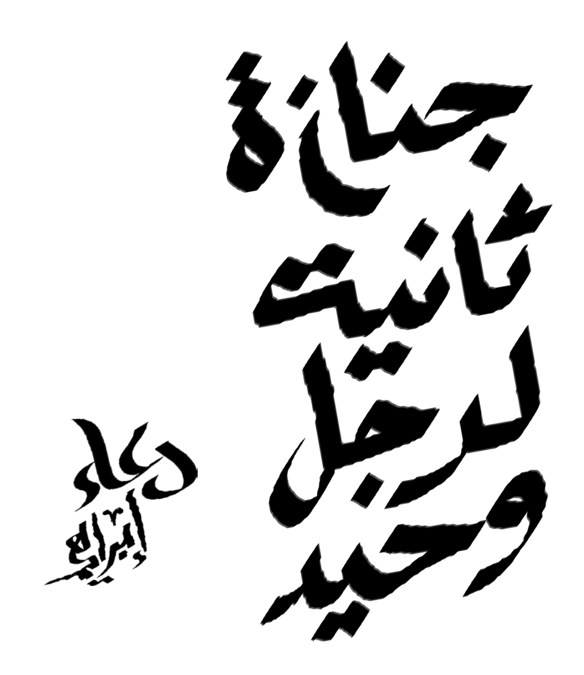
002-01140848568

www.rabe3arabe.com

rabe3arabe@gmail.com




الربيع العربي
للنشر والتوزيع


جنازة ثانية لرجل وحيد
دعاء إبراهيم

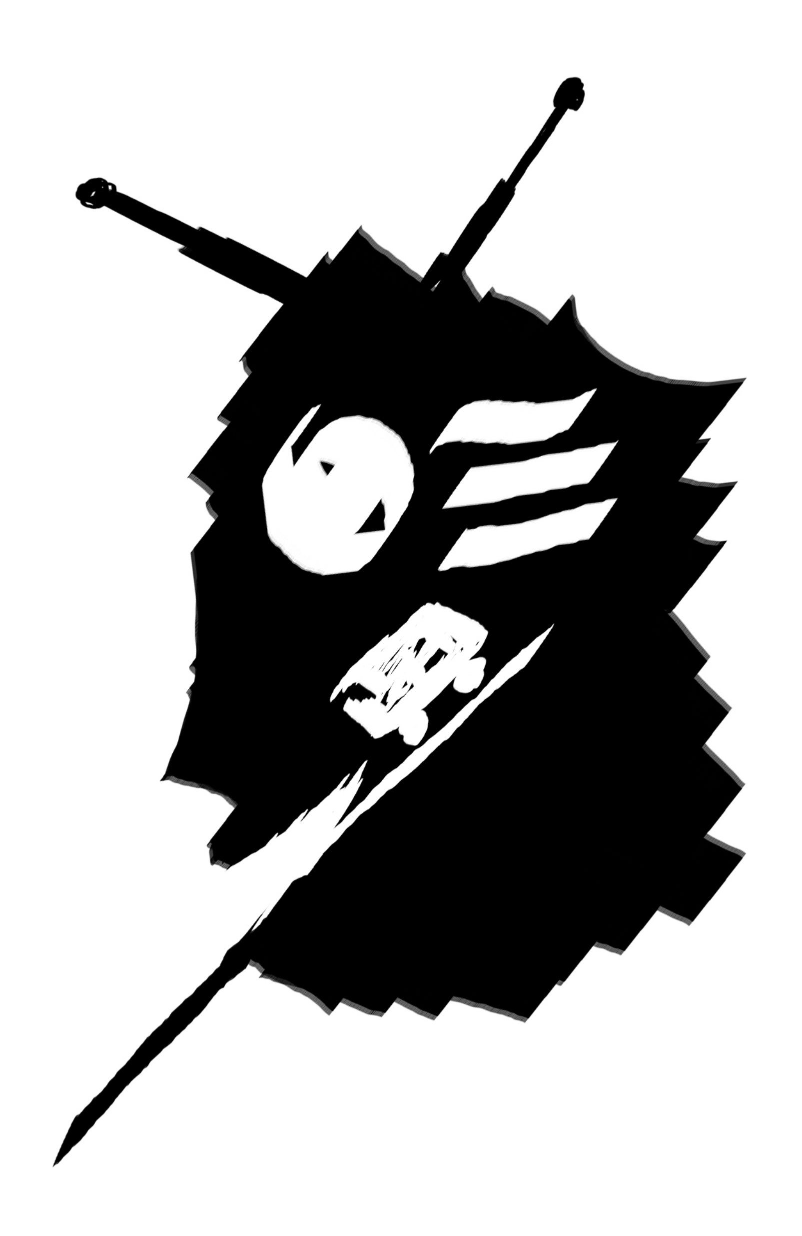


إهداء

إلى الرجـل العجـوز الـذي يجلـس بجـوار النافـذة، يمسـك مصحفًـا بـين يديـه السـمراوتين، لا يذكـر مـن حياتـه سـوى لقطـات، حـين سـافر أبـوه مـن الصعيـد إلى الإسـكندرية، حـين كان يدخـن سـيجارته في المقهـى المجـاور لبيتـه، زوجتـه حـين خـلا بهـا يـوم عرسـهما، ورآهـا لأول مـرة، ابنتـه الـتي انجبـت توأمًـا، فقـام بتسـمية البنـت دعـاء، وتـرك تسـمية الولـد لابنتـه وزوجهـا، يتذكـر فقـط قصـص متتاليـة عـن حياتـه، لا يعـرف ما سبقها أو مـا تلاهـا، فـلا مجـال في الذاكـرة لحكايـة أزليـة، تبـدأ منـذ الـولادة حـتى الممـات، ليسـت هنـاك ذاكـرة تسـتوعب تفاصيـل حكايـة طويلـة، فالأمـر أبسـط مـن ذلـك بكثـير..

إلى الرجل العجوز الذي مات.

دعاء



موت أول

فتحـت الراديـو عـلى إذاعـة الأغـاني لتجـد المذيـع يرحـب بـه:

معكـم مسـئول الأحيـاء يحدثكـم عـن حالـة الطقـس اليـوم..

«اليـوم الجـو مشـمس ربيعـي دافئ، كل شيء عـلى مـا يُـرام، لذلـك أنصح كل الأحيـاء بصفـتي مسـئول عـن سلامتهم بعـدم مغـادرة البيـت، فـأرض الشـارع بهـا خطـر مميـت!»



كل شيء صار يحمل خطوطًا زرقاء، باب بيتنا.. خطوات أمي الليليَّة على أرضية الحجرة.. جلباب أبي الذي كان يرتديه، وهو يدفن أختي الصغيرة.. قميص أمي داخل مستشفى المعمورة.. رأس أختي الكبير.. عيني التي لم تذُق النوم لثلاث سنوات متواصلة.. يد جارتي وهي تضرب أمي لتمنعها من النافذة.. يدي بعد أن صرت أتولَّى أنا ضرب أمي.. الجنة التي قد لا تتسع لنا جميعًا.

***

عشر خطوات... ثم تليها صرخة من أمي، وهي تفتح النافذة، ثم صرخة أخرى وهي تنظر إلى أرض الشارع، ثم صرخة ثالثة وهي تقبع جثة هامدة، عشر خطوات وثلاث صرخات، حيث تكون الأخيرة بشكل استثنائي لي، وأنا أمنعها وأطلب المساعدة، لم أنم من وقتها، فكل قفزات أمي ليليَّة.

في بادئ الأمر كانت تساعدني جارتي التي تقبع أمامنا، والتي كانت صديقة أمي، حتى صارت أمي أكثر عنفًا، وبالتالي صارت هي أكثر عنفًا، فقمت بطردها، لأفعل ما

كانـت تفعلـه بالضبـط. جسـدي وجسـد أمـي لا يخلـوان مـن الأزرق!

***

عـشر خطـوات، ثـم تليهـا صرخـة مـن أخـتي الصغـيرة، حين يقذفهـا أبي عـلى السريـر، تتـوالى صرخـات أخـتي، وسـط سـبابه للأطبـاء جميعًـا، ولأمـي ولـرأس أخـتي الكبـير.. زغاريـد، وُلـد لنـا مولـود، ثـم صمـت مطبـق، لـم يحـضر أحـد السـبوع، كمـا أننـا لـم نـدعُ أحـدًا، فـرأس أخـتي وأورِدتُهـا المُحتقنـة، وعيناهـا المرتفعتـان والمشـدودتان لأعـلى، كانـت كافيـة لأن يدهـن أبي حجـرة نومـه باللـون الأزرق.

***

عـشر خطـوات وسـط صرخـات أخـتي الـتي لا تتوقـف، ثـم صمـت، دلفـت إلى الحجـرة، وجـدت أمـي مبتسـمة، وأخـتي صامتـة جـدًّا تحـت مخدتهـا الضخمـة، هـرع أبي إلى دولاب ملابسـه، وارتـدى جلبابـه المخطـط ليقـوم بدفـن أخـتي، يومهـا لـم تبـكِ أمـي، كانـت عيناهـا تزوغـان في أنحـاء البيـت، منـذ ذلـك اليـوم لـم أنـم!

***

يـارب هـل في الجنـة مُتَّسَـع لنـا جميعًـا؟ لنجلـس حـول المائـدة وتصنـع لنـا أمـي الفطـير بالعسـل، كمـا كانـت تفعـل قديمًـا، وتجلـس أخـتي، وتكـون قـد كـبرت قليـلًا، لتصبـح

في مثـل سـنِّي تقريبًـا، وتضـع رأسـها عـلى ظهـري، لأنهـا لـن تتحملـه عـلى رقبتهـا، لأكـثر مـن ربـع سـاعة، ونتبـادل أنـا وهـي الحكايـا والأسرار. يـا رب هـل في الجنـة أسرار؟ لا بُـد أن يكـون في الجنـة أسرار، حـتى لا تعلـم أمـي أنـني أغمضـت عيني، حـين سـمعتها تـصرخ صرختهـا الأولى، وأحكمـت الغطـاء عـلى أذني، وهـي تـصرخ صرختهـا الثانيـة.. ثـم الثالثـة... ثـم هممـتُ سريعًـا لأنظـف البيـت، حـتى لا يـأتي المعـزون ويجـدوه متسـخًا، بالفعـل كان البيـت نظيفًـا جـدًّا .

يـا رب هـل في الجنـة مُتَّسَـع للألـوان؟ فبعـد مـوت أمـي، أخـذ أبي يدهـن حجرتـه باللـون الأصفـر الباهـت، وصرت أدخلهـا كثـيرًا، لـم يـتزوج أبي ثانيـةً، إلا بعـد زواجـي، يـا رب لـم أنـم بعـد مـوت أمـي سـوى ليلـة واحـدة، بعدهـا صرتُ أسـتيقظ عـلى صوتهـا مجـددًا، يـا رب هـا أنـا أُمسـك بيـد أمـي، وقدمـاي في مثـل حجـم قدميهـا تقريبًـا. عـشر خطـوات وفتحـتُ النافـذة، صرخـة أخـرى، واعتليـتُ جـدار النافـذة، ثـم الثالثـة....

ها أنا ظمآنة جدًّا، يا رب هل في الجنة ماء؟


وابتسمت
بجانب
ثغرها
الأيسر

وقفت أمـام المـرآة، تتأمـل جسـدَها، أتمَّـت الخامسـة عـشر أول أمـس في صمـت، لـم يبـق في البيـت غيرهـا وأبيهـا، الـذي يجـيء متأخـرًا في الليـل، فبعـد وفـاة أمهـا وأختهـا، لـم يعُـد أحـد يزورهمـا مـن أقاربهـم. نظـرت إلى وجههـا، الهـالات الزرقـاء حـول عينيهـا تـزداد، رغـم أنهـا صـارت تنـام جيـدًا، نظـرت إلى ثديهـا النافـر خـارج ملابسـها، الـتي صـارت تضيـق عليهـا، فتحـت خزانـة ملابـس أمهـا المهجـورة، وأخرجـت أحـد ملابسـها، كانـت تعلم أنهـا سـتكون واسـعة عليهـا، لكنهـا أيضًـا سـتكون مُريحـة.

خلعـت ثيابهـا، وارتـدت ملابـس أمهـا، كانـت لا تـزال تحمـل رائحتهـا، أعـادت النظـر في المـرآة، لـم تجـد وجههـا! صـورة أمهـا قابعـة أمامهـا في سـكون، تراجعـت للخلـف في ذُعر، أخذت تصنـع بعـض الحـركات، لكـن صـورة أمهـا ظلـت سـاكنة، لا تتحـرك مـع حركاتهـا، هرعـت إلى مـرآة الحمـام، فوجـدت وجـه أمهـا يبتسـم ابتسـامتها المعتـادة، والـتي تتجـه دومًـا ناحيـة اليسـار. أخـذت تتحسَّـس وجـه أمهـا في المـرآة، اسـتفاقت عـلى صراخ أختهـا الصغـيرة، يهـز أركان البيـت، بالضبـط كمـا كان من

قبـل، آتيًـا مـن حجـرة أمهـا الـتي تركتهـا للتـو، عـادت أدراجهـا، لتجـد أختهـا مُلقـاة عـلى السريـر، وتـصرخ صراخًـا عاليًـا، أمسـكت بهـا محاولـةً تهدئتهـا، أخـذت تهدهدهـا وتربـت عـلى ظهرهـا، وهـي تتحـرك في أركان الحجـرة، وتنظـر إلى المـرآة بـين الحـين والآخـر، فـترى أمهـا تنظـر لهـا في تحـدٍّ واضـح، وأختهـا تـصرخ أكـثر وأكـثر، وضعتهـا عـلى السريـر، وهـى تلـف في أركان الحجـرة لا تعـرف مـاذا تفعـل. أخرجـت ثديهـا النافـر، لتضعـه داخـل فـم أختهـا، حـتى تلقمـه وتصمـت، كمـا كانـت تفعـل أمهـا معهـا، لكـن أختهـا ظلـت تـصرخ، وكلمـا عـلا صوتهـا، كلما ازدادت أوردتهـا البـارزة احتقانًـا، وازداد بـروز عينيهـا، أمسـكتها بـين يديهـا، نظـرت إلى المـرآة فـرأت وجـه أمهـا.. ملابـس أمهـا.. ممسـكة بطفلـة أمهـا.. الوحـش الصغـير الـذي لا يصمـت، وضعتهـا عـلى السريـر، وأمسـكت المخـدة، ووضعتهـا عـلى وجههـا، لتصمـت قليـلًا، خفـت الصـوت تدريجيًّـا، لكنهـا لـم تكتـف بذلـك، أخـذت تضغـط بقـوة أكـبر، حـتى صمتـت تمامًـا، رفعـت المخـدة لتجدهـا قطعـة زرقـاء ثابتـة العينـين، حرَّكتهـا بيديـن مرتعشـتين، لكـن أختهـا لـم تحـرِّك سـاكنًا. لقد رأتهـا بنفـس الصـورة مـن قبـل، نظـرت إلى المـرآة ثانيـة، فـرأت وجههـا يتسـاقط منـه العـرق، وقـد اختفـى وجـه أمهـا تمامًـا، ليبـدو وجههـا باهتًـا بعـد مـا فعلـت، خلعـت ملابـس أمهـا في هـرع، وأخـذت تقـذف بهـا بعيـدًا، وكأنهـا السـبب فيمـا حـدث، حـتى صـارت عاريـةً تمامًـا، اختبـأت أسـفل السريـر، وسـالت مـن عينيهـا الدمـوع، وهـي تفكـر بمـا فعلتـه للتـو،

ارتفـع صـوت أبيهـا، وهـو يفتـح بـاب الشـقة، عرفـت أنـه سـيتزوج، ولا بُـد لـه أن يـتزوج، وأنـه صـبر كثـيرًا عـلى مـرض أمهـا وأختهـا، ولـم يـتزوج، ولا بُـد لـه أن يعيـش مـا تبقَّـى مـن حياتـه ويـتزوج! كانـت الكلمـات تـتردَّد كثـيرًا، وكذلـك الأسـماء، مـرة يقولـون أنـه يحـب جارتهـا، والـتي كانـت صديقة أمهـا، ومرة أخـرى يتحدثـون عـن الممرضـة الـتي تسـكن في نهاية الشـارع ، لم يكـن يتحـدث معهـا كثـيرًا ، كانـت تعـرف أخبـاره مـن الجـيران.

خرجـت مـن أسـفل السريـر ترتعـش، لـم تجـد أختهـا ، كمـا أن السريـر كان سـاكنًا تمامًـا، كمـا رتَّبتـه في الصبـاح، المخـدَّة في مكانهـا، التقطـت أنفاسـها، وابتسـمت فرِحـةً، وألقـت بجسـدها العـاري، عـلى السريـر لبعـض الوقـت، كانـت ملابسـها وملابـس أمهـا، ملقـاة عـلى أرضيـة الحجـرة، أمسـكت بملابـس أمهـا، وارتدتهـا بعـد نظـرة متفحِّصـة، واتجهـت بخطًـى واثقـةٍ ناحيـةَ المـرآة ، تفـكُّ ضفائرهـا، وتلملـم شـعرها، وتعقـده بنفـس طريقـة أمهـا، أمسـكت بأحمـر الشـفاه ، وضعتـه عـلى شـفتيها، وابتسـمت بجانـب فمهـا الأيـسر، وهـي تـردِّد «البيـت لا يتَّسـع إلا لامـرأة واحـدة».

كان أبوهـا لا يـزال يعبـث في أنحـاء البيـت كعادتـه، أطفـأت نـور الحجـرة، وخرجـت سريعًـا، لـم تكـن بحاجـة لتلقـي نظـرة عـلى المـرآة ثانيـةً، كمـا أن أباهـا العائـد بعـد عمـل طويـل، يحتـاج إلى مـن يقابلـه مقابلـة تروقـه، لـم يعتـد عليهـا منـذ زمـن.



هو

أعجبـه الاسـم.. والإشـاعات الـتي تـزداد كلمـا اقـترب مـن بيـت أبيهـا، يقولـون أن أمهـا حاولـت الانتحـار آلاف المـرات حـتى المـوت، وكانـت لهـا أخـت مريضـة، لكنهـا ماتـت «موتـة ربنـا»، وأن البنـت ربمـا ورثـت مـن أمهـا نصـف عقـل تالـف، تخطَّـت الثلاثـين بقليـل، لهـا نهـدان كبـيران... طـرق البـاب ليطلـب يدهـا للـزواج .

***

هي

أعجبهـا الاسـم.. ونظرتـه المسـتقرة عـلى نهديهـا وأردافهـا، كان الوحيـد الـذي تشـجَّع وتقـدَّم لخطبتهـا، أخبرتـه أنهـا حاولـت الانتحـار مثـل أمهـا لكنهـا فشـلت، أبـدى اعجابـه بالأمـر، فوافقـت عـلى الـزواج منـه فـورًا.

***

هو

أخبرتـه أن الـدم الـذي أرتـه إيـاه يـوم زفافهمـا، كان بسـبب شـكة دبـوس لإصبـع قدمهـا، فبعـد أن اسـتأذنته لدخـول الحمـام، خرجـت إليـه وهـي تُمسـك بالمنديـل الملطَّـخ ببقـع الـدم، لذلـك فعليـه أن يلقـي بالمنديـل الـذي احتفـظ بـه، لأنـه لـم تعُـد لـه قيمـة.. لـم تسـتطع أن تخـبره الحقيقـة إلا بعـد وفاتهمـا.

***

هو/هى

كانا يتفاهمان بنظرة عين واحدة .




اعتيادي

إلى السيد/ مدير الوحدة

تحية طيبة وبعد..

أرجـو مـن سـيادتكم قبـول طلـب أجـازة اعتيـادي، يـوم الأربعـاء القـادم، وذلـك لظـروفي الخاصـة.

مُقدِّمُه

....

***

إلى الموظف/ ....

تحية وبعد..

لـن يتـم قبـول طلـب الأجـازة، طالمـا أن أحـد الموظفـين لـم يوقِّـع بالقيـام بالعمـل بـدلًا منـك، حيـث إن المديـر لا يرتـضى أن تتوقـف مصالـح النـاس بسـبب أجازتـك.

عنه مدير شئون العاملين

....

***

إلى السيد الأستاذ/ مدير الوحدة

تحية طيبة وبعد..

أرجـو مـن سـيادتكم قبـول طلـب الأجـازة، مـع العلـم أن الزمـلاء جميعًـا يرفضـون القيـام بالعمـل بـدلًا مـني، وحيـث إنـه لا بديـل لـديَّ عـن ذلـك، فأرجـو مـن سـيادتكم التغـاضي عـن القيـام بالعمـل، في ذلـك اليـوم، وذلـك لظـروفي الخاصـة جـدًّا.

مُقدِّمُه

....

***

إلى الموظف/ ....

أما بعد..

ورغـم تفضُّلنـا بالتغـاضي عـن جملـة «مَـن سـيقوم بالعمل» إلا أنـه بعـد النظـر إلى رصيـد أجازاتـك، وجـد أنـه لا يوجـد لديـك رصيـد، سـواء رصيـد اعتيـادي أو عارضـة، ومـن هنـا لا يسـعنا الموافقـة عـلى طلـب الأجـازة المقـدَّم، ونرجـو منـك الاهتمـام بعملـك.

عن مدير الوحدة

....

***

إلى سيادة حضرة مدير الوحدة

تحية طيبة وبعد..

أرجـو مـن سـيادتكم الموافقـة عـلى طلـب الأجـازة، وذلـك لأنـني أود أن أمـوت في ذلـك اليـوم، ولـم أكـن أود إزعـاج سيادتكم، بالإفصاح عـن ظـروفي الخاصـة، ولكـن ذلـك رجـاء، أرجـو مـن سـيادتكم الموافقـة.

مُقدِّمُه

....

***

إلى الموظف/ ....

لا يمكنـني إعطـاؤك أجـازة، مهمـا كانت الأسـباب، فالأسـباب دائمًـا كثـيرة، ولا تتوقـف مصلحـة الوحـدة، عـلى أسـباب العاملـين بهـا، وإلا توقفـت مصالـح النـاس، ونحيـط علمـك بأنـك إذا تغيَّبـت ذلـك اليـوم، سـوف يتـم اعتبـاره يـوم غيـاب، وسـيتم تحويلـك للشـئون القانونيـة، وسـتحصل عـلى خصـم يـتراوح مـن يـوم إلى خمسـة أيـام.

عنه مدير شئون العاملين

....

***

إلى السيد المحترم المبجَّل مدير الوحدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد..

يـا سـيادة المديـر، إنـني أود أن أمـوت في ذلـك اليـوم، ولا يمكـن لطلـب بسـيط هكـذا، أن يحـول دون مـوتي، إلى جانـب أنـني لا أسـتطيع تحمُّـل مثـل هـذا الخصـم، ولا أريـد أن يبقـى في سـجلِّي جـزاءات، فقـد عملـت في الحكومـة عـشر سـنوات، بــلا جــزاء واحــد، أتمــنى مــن ســيادتكم أن تنظــر إلى طلــبي بنظـرة عطـف، فقـط لا غـير.

***

- فين القميص الأخضر اللى كان في الدولاب؟؟

- بيتغسل.

- ليه؟؟؟

_ يعنى إيه ليه... كانت ريحته معفنة.

_ وانـتي مالـك يـا سـتي، أنـا كنـت عايـز أمـوت بـه حـرام عليـكِ.

_ مــا تمــوت بــأي قميــص، القمصــان عنــدك كتــير في الــدولاب!

***

إلى/ .....

نظـرًا لكـثرة إلحاحـك، وضيـق وقتنـا، يمكنـك المـوت بعـد مواعيـد العمـل الرسـمية، وبالتـالي لـن نقـف أمـام موتـك، ولن يكـون هنـاك ضرر عـلى مصلحـة الوحـدة، أو تعطيـل لمصالـح الناس.

عنه

....

***

_ الشنطة السودة فين؟

_ شحَّتّها.

_ طب استني لما أموت، بتشحّتيها دلوقتى ليه؟

_ وانت عايزها ليه يعني؟!

***

إلى سيادة المدير

تحية طيبة وبعد..

إنـني أود أن أمـوت في لحظـة الـشروق، وهـو نفـس التوقيـت الـذي أسـتيقظُ فيـه للذهـاب للعمـل، هـل يُـرضي سـيادتكم أن تفـوِّت عـليَّ الوقـت المحـدَّد لمـوتي؟

أرجو من سيادتكم الموافقة على منحي الأجازة.

مقدمه

....

***

إلى/ .....

يمكنـك أن تأخـد إذن صباحـي، وتنتهـي مـن قصـة موتـك، وتـأتي إلى العمـل بعـد انتهـاء سـاعات الإذن الثـلاث، أي في حـدود العـاشرة صباحًـا، أمـا إذا تأخـرت عـن ذلـك، فسـيتم التشـطيب عليـك في دفـتر الحضـور والانـصراف، واعتبـاره يـوم غيـاب، وعـلى الرغـم مـن عـدم وجـود أذونـات في رصيـدك، فقـد استهلكت كل أذوناتـك، فقـد تغاضينـا عـن ذلـك، لننتهي مـن قصـة أجازتـك.

عنه

......

***

_ أصفـر.. أخـضر.. مخطـط.. كلـه هيبقـى لونـه أزرق في النهايـة صدقـني!

_ وده ليه بقى؟

_ عشان الدم.

_ أنا هموت موتة ما فيهاش دم.

_ كل اللي ماتوا قدَّامي ازرقّوا.

_ انـتي فاكـراني هامـوت زيّ أمـك، وارمـي نفـسي مـن البالكونـة، وبعديـن أنـا أسـمع إن الواحـد بعـد المـوت وشُّـه بينـوَّر، وبعديـن انـتي إيـش فهّمـك في المـوت، كل الـلي ماتـوا قدَّامـك أختـك وأمـك بـس، وأبـوكي ربنـا يعطيـه الصحـة، عاملـة خبـيرة بتـاع إيـه؟

_ بكـرة تشـوف، حـتى لـو الـلي بتقولـه حقيقـي، انـت أسـمر يـوم مـا تنـوَّر هـتزرق!

***

صبـاح الأربعـاء، نهـض مـن سريـره مبكـرًا، ارتـدى قميصـه الأزرق، وبنطالـه الأسـود، حمـل حقيبتـه، وذهـب إلى العمـل في تمـام العـاشرة، دون تأخـير، وجلـس إلى المكتـب.




ورقة
كوتشينة

أخذت تكنس أرضية الحجرة ، بعد ذهاب زوجها إلى العمل، أخرجت البطاطين في البالكونة تتشمَّس، أثناء كنسها للحجرة، عثرت على ورقة كوتشينة أسفل الكومودينو، تذكَّرت حين رأتها العنبر الضيق، رائحة البول الذي كان يتسرب دومًا من بامبرز أختها، حيث لم تُجِد يومًا ما إحكامه، نظرة جارتها القابعة في السرير المجاور، حين أخبرتها أنها أتمت الحادية عشر أول أمس، أمها حين تطلب منها في كل مرة أن تجلس في المستشفى بدلًا منها، حتى تذهب إلى البيت ساعتين لتستحم وتعود، ثلاثة أيام وأمها تستحم ، علبة اللبن، طريقة تحضير الرضعة، علبة البامبرز، كان هذا كل ما تحتاج إليه، حتى تفرغ أمها من الاستحمام.

عادت أمها بعد أربعة أيام، استقبلتها بابتسامة عريضة، ألقت إليها ابنتها، وانطلقت إلى الخارج، بعد أن حصلت على ثلاثة جنيهات، بدت كرشوة جيدة، لإسكاتها

عــن التذمُّــر والشــكوى، وشراء علبــة كوتشــينة، صعــدت إلى أمهـا لتُريهـا مـا جلبتـه، أومـأت الأمر برأسـها، وهـي تسـألها عمـا قالـه الأطبـاء.

_ عايزين يعملوا لها بذل للمية اللي على المخ.

_ البذل هنا في المستشفى؟

فتحـت علبـة الكوتشـينة قبـل أن تـرد، وبـدأت تضـع الأوراق أمـام أمهـا لتشـاركها اللعـب..

_ لأ..... العبي.

حدقتهـا أمهـا بنظـرة قاسـية، تأمرهـا أن تجمـع الأوراق، وتُخفــي هــذه الكوتشــينة، ولا تُظهرهــا ثانيــةً.

لكنهـا أصرَّت عـلى اللعـب، ولـم تكـترث لنظـرات أمهـا، وضعـت الأوراق عـلى صـدر أختهـا، لضيـق السريـر، وبـدأت تلعـب عـن نفسـها مـرة، وعـن أمهـا مـرة أخـرى، ظلـت فـترة هكـذا، وأمهـا ترقبهـا جيـدًا، ثـم سـألتها عـن كيفيـة اللعـب، وتلفتـت تتأمـل حجـرة الأطبـاء والتمريـض، لـم يكـن بهـا أحد، يبـدو أنهـم منشـغلون في عنـبر آخـر، أمسـكت الأوراق في بـطء وتململُـل، نظـرت إلى ابنتهـا وسـألتها: مـا قالـوش هنخـرج إمـتى مـن هنـا؟

وضعت أحد الأوراق ، وأومأت لابنتها لتبدأ اللعب..

كانـت قـد انتهـت مـن كنـس الحجـرة، ألقـت بالـتراب الـذي جمعتــه، وورقــة الكوتشــينة الــتي عــثرت عليهــا في صنــدوق القمامـة، وأكملـت مسـح الأرضيـة.



الطريق

طويـل.. هكـذا بـدا الأمـر، منـذ أن استيقظت عـلى صوتـه الجهـوري، وحركـة يـده المهـتزَّة، همَّـت سريعًـا مـن عـلى السريـر، أخبرتـه بالأمـس أنهـا ذاهبـة معـه، ليموتـا معـا، تركتـه يضـع خطـة موتهمـا، هـو الـذي قـرر ميعـاد موتهمـا، في الصبـاح الباكـر، رغـم أنهـا أخبرتـه ألـف مـرة، أنهمـا مـن الممكـن أن يموتـا ليـلًا أو عـصرًا، فهـي تكـره الاسـتيقاظ مبكـرًا.

«حطيـت ماكينـة الحلاقـة.. حطيـتي الحاجـات الغريبـة بتاعتـك.. الشـنطة السـودا إيدهـا ضعيفـة.. خـد البـني.. طيـب هـاتي صابونـة.. اكـوي القميـص قبـل مـا تلبسـه عشـان مكـسَّر.. البـسي بنطلـون تحـت الجيبـة عشـان مـا تتعرّيـش... أنـا عايـز أتصـوَّر معـاكي قبـل مـا نمـوت.. نبقـى نتصـوَّر بعديـن!»

مـن بيتهـم إلى ناصيـة الشـارع مسـافة كبـيرة، أحيانًـا يركبـان ميكروبـاص وأحيانًـا يمشـيانها، لكـن في هـذه السـاعة المبكـرة،

لـم يكـن أمامهمـا سـوى المـشي، كان يُـسرع الخُطـى، وكانـت تحــاول اللحــاق بــه.. خطــوة.. أولى.. ثانيــة.. ثالثــة.. سادســة.. عــاشرة.. عشريــن.. ثلاثــين.. وصــل إلى الناصيــة، بينمــا كانــت تــرى ظلــه مــن بعيــد، يقطعــه مــرور المــارَّة بينهمــا، أشــاح بيــده متبرمًــا مــن تأخُّرهــا، رفعــت يدهــا لــه لينتظرهــا، بــدأت تُــسرع، وهــو يقــف واضعًــا الحقيبــة عــلى الأرض، ومســتندًا إلى الحائــط، وبالفعــل بــدأت تقــل المســافة بينهمــا، فــإذا بــه يتحــرك، وهــو يُشــير لهــا، لتلحــق بــه، أخــذت أنفاســها تتســارع، وهــي تحــاول أن تلحــق بــه ثانيــةً، كان ظلــه يبــدو هائــلًا أمامهــا، طويــلًا نحيفًــا، وكأنــه عــود ثقــاب، يصــل مــا بــين أرض الشــارع والسَّــماء، يقطعــه المــارَّة ليختفــي حينًــا، ويظهــر حينًــا، كانــت المســافة بينهمــا تــزداد، وهــو لا ينظــر للخلــف ليراهــا، وكأن شــيئًا بدهيًــا أن تكــون خلفــه، توقفــت تنظــر إليه، مكمــلًا ســيرَه، لا يأبــه بــشيء، تراجعــت عــدة خطــوات، خلعــت حذاءهــا، الــذي كان يعوّقهــا عــن اللحــاق بــه، شــعرت وهــي حافيــة أنهــا ســتكون أسرع، لكنهــا تحركــت في اتجــاه البيــت، بينمــا هــو مســتمر في مشــيته، وهــي تشــعر أنــه يــزداد طــولًا كلمــا ابتعــد.




جنازة ثانية لرجل وحيد

أخبرت زوجـتي أن جارنـا الـذي يسـكن في الشـقة المقابلـة سـيموت اليـوم ثانيـةً، لكـن هـذه المـرة، لـن يُـترَك ليمـوت في الحـادث الأليـم الـذي مـات فيـه مـن قبـل، ولـن يُـترَك مُلقًى عـلى سريـر مستشـفى حكومي يومًـا كامـلًا، حـتى يـأتي الطبيـب الشرعـي، ويُخـلي الجثـة مـن أي شُـبهة جنائيـة، الأمـر كلـه هـذه المـرة سـيتم بطريقـة لائقـة، سـيموت دافئًـا في سريـره، كمـا يتمـنَّى أي إنسـان، ستدعو امرأتـه الأقـارب جميعًـا، لقـد أخبرتـني بميعـاد الجنـازة مـن الآن، ستكون في نهايـة الأسـبوع، أظـن أنـه وقـت مبكِّـر جـدًّا لتحديـد ميعـاد الجنـازة، لكنهـا تقـول أن في المـرة الأولى لـم يحـضر الكثـير مـن النـاس، بسـبب ضيـق الوقـت، وحـدوث الأمـر فجـأة، فقـد مـات في عـز شـبابه، سـتجعل الأجـواء مناسـبة لمـوتٍ أفضـل مـن سـابقه.

_ وانـت نـاوي تضحـك زيّ المـرة الـلي فاتـت في الجنـازة وتفضحنـا؟

_ أنا ضحكت!!

_ انـت مـش فاكـر ولا إيـه؟ أومـال الجنـازة هتتعمـل تـاني ليـه؟ كانـت بتحبـه أوي!

_ لا هيعيدوا الجنازة عشان ماضحكش!! نكتة دي.

كان البيـت مزدحمًـا بالسَّـواد، جميعهـم مُمسـكون بالمناديـل وينتحبـون، كانـت جارتنـا هـذه المـرة قـد دفعـت لشـاب، لصنـع فناجـين القهـوة للمُعزِّيـن، وأحـضرت شـيخًا ليقـرأ بعـض آيـات القـرآن، وهـو مـا لـم يتـم في المـرة الأولى، ربمـا لأنهـم ورثـوا أموالـه، ممـا مكَّنهـم مـن دفـع المصاريـف اللازمـة، أسرعـت زوجـتي نحـو جارتنـا، فضَّلـت ارتـداء عبـاءة بُنيَّـة اللـون، دلفـت إليهـا، وألقـت على مسـامعها بعـض كلمات العـزاء، وسـط الأحاديـث الجانبيـة للمعزِّيـن، الذيـن كفّـوا عـن النَّحيـب، وأخـدوا يتحدثـون في أمـور الحيـاة المختلفـة، ويرشـفون القهـوة.

كان الرجـل بالداخـل في حجرتـه، ينتظـر لحظاتـه الأخـيرة للمـرة الثانيـة، لا يختلـف عمَّـا كان عليـه سـوى مـن بعـض الجـروح والدمـاء، كان أكـثر هـدوءًا مـن السـابق، فلـم يكـن هنـاك مجـال للـصراع، أو لتغيـير نهايـة سيؤول إليهـا، فالأمـر بـات مُسَـلَّمًا بـه.

كانـت الجنـازة هائلـة، حشـد كبـير مـن البـشر، لـم يكـن هنـاك مـبرر لعـدم المجـيء، انطلقـوا بعـد صلاة الجمعة إلى المدافـن، كلمـا تذكـرت عينهـا وهـي تطلـب مـنى ألا أضحـك،

وأنـني كنـت أضحـك في الجنـازة السـابقة، كلمـا اشـتعل بـرأسي الغضـب، لقـد كان مـن أعـز جـيراني، كمـا أننا عِـشرة عُمْـر، لكنه مـات في المـرة الأولى، ولـم يخـبرني، وهـا هـو يمـوت ثانيـةً ولـم يخـبرني أيضًـا، زوجتـه هـي الـتي أخبرتـني، السـيدات يُفسـدن كل شيء، الحيـاة والمـوت، شـعرت بالحنـق، إنـه يتـصرف بأنانيـة مفرطـة، فربمـا كنـت أود المـوت معـه، هـل أعـادوا موتـه لأنـني كنـت أضحـك في المـرة الأولى، ولـم أحُسـن التـصرُّف! لقـد مـات في المرة الأولى، وهـرب مـن دفـع المشـاريب الـتي كان عليـه أن يدفعهـا، بعـد أن غلبتـه في دور الدومينـو، لمـاذا يبـكي هـؤلاء الحمقـى، ألـم يكفهـم أنهـم بكـوا في المـرة الأولى! أولى بـه أن يبـكي هـو علينـا، فقـد مـات بينمـا نحـن نـشرب القهـوة ونسـير خلفـه، حظـه دائمًـا جيـد، بـل جيـد جـدًّا، فلـم أغلبـه سـوى مـرة واحـدة، وبعدهـا مات، كل هـذه المشـاريب دفعتهـا أنـا، ولـم أمُـت في النهايـة. نظرتهـا وهـي تتهمـني بأنـني سـبب كل مـا يصـير الآن، بسـبب ضحكـة!! أنـا لا أتذكـر شـيئًا، لكـن إصرارهـا مُضحـك بالفعـل، ابتسـمت وأنـا أتذكـر مـدى جنونهـا، وصلنـا إلى القـبر، بـدأوا يحملـون جسـده، لينزلـوه داخـل الحفـرة، ويُهيلـوا عليـه الـتراب، أدركـت أنـه لـم يعُـد لـه وجـود هنـا، لقـد ذهـب بشـكل نهـائي، وقتهـا لـم أسـتطع أن أتوقـف عـن الضحـك!


عيش
فينو
لعشا

كانا يتحدثـان بجـوار النافـذة، فقـد صنعـتْ لـه كوبًـا مـن القهـوة، بعـد أن انتهـى الحديـث بينهمـا، سـاقته إلى النافـذة وألقـت بـه، ليسـقط في أرض الشـارع ويصبغـه بألـوان متعـددة، حاولـت أن تقفـز خلفَـه، لكنهـا لـم تسـتطع، كان مـا يحـدث كلـه صدمـةً لهـا، فالأمـر أبسـط مـن ذلـك بكثـير، فقـد ألقـت بنفسـها مـن قبـل، ضربـات قلبهـا بـدأت في التزايُـد، وبـدأ العـرق يتسـاقط مـن جبينهـا، وهـي تنظـر إلى أرض الشـارع.. والسـماء.

***

كان يمسـك ثديهـا بـين يديـه، بينمـا كان جسـدها ينتفـض أسـفل منـه، ابتسـم وأومـأ برأسـه، ليؤكـد لهـا رغبتـه في أن يحـدث مـا اتفقـا عليـه الآن، فليـس هنـاك وقـت أفضـل، امتـدت يدهـا حـول عنقـه، في نفـس الوقـت الـذي امتـدت يده حـول عنقهـا، تحـول جسـده لجثـة هامـدة في لحظـات، وهـى لا تـزال حيَّـة! لـم تتأثـر بـشيء، وكأنـه لـم يحـاول حـتى خنقها، أخـذت تهـز جسـدَه، دون فائـدة، كان راقـدًا بـلا حـراك، بـدا

لها أنه يبتسم، وكأنه يتعمد إثارة غيظها وغيرتها، اشتعل رأسها، وأخذت تنادي على الجيران، ليقوم أحدهم بقتلها بدلًا منه.

***

أصر على زيارة أمه والمتبقين من أهله، كان أشبه بتوديع أكثر منه زيارة عادية، مما أثار قلق أمه، وكثُرت أسئلتها الخانقة بالنسبة إليها، بدا المشهد دراميًّا فجًّا، حاولت بكل الطرق إنهاء الزيارة سريعًا، لتستعدَّ لما أتت من أجله بالفعل، اتجها هما الاثنان بعيدًا عن محطة القطار، حتى صارا وحيدين، بعيدًا عن أعيُن الناس، جلسا بين قضبان القطار بأيدي متشابكة، في انتظار صافرة القطار، لحظات قليلة، وصار المشهد كله ملطَّخًا بدمائهما، فتحت عينيها، لتجد الناس مُلتفِّين حولها، يحملونها باتجاه المستشفى، نادت عليه، لم يتحرك كالعادة، صوتها المبحوح لم يصل إلى آذانهم، ليوقفهم، ويخبرهم أنها لا تريد الذهاب إلى المستشفى.

***

قاما بتأجير مركب في البحر، البقية كانت تعرفها جيدًا، لم يكن هناك داع لرؤية نفسها، في كل مرة دون أن تموت، ورؤيته وهو يحظى بما يريد، لذا استيقظت سريعًا من سريرها، بعد أن ألقت عليه نظرة لوم، واتجهت مباشرةً

إلى المطبـخ تُعـد لهمـا الإفطـار، وتنـادي عليـه بـين الحـين والآخـر ليسـتيقظ ، ابتلـع كلماتهـا الـتي تطالبـه بـشراء طماطـم حمـراء مـن السـوق.. جُـبن تـركي مـن عنـد البقـال.. عيـش فينـو للعشـاء. سـكب نصـف كـوب الشـاي في فمـه، خلـف كلماتهـا وسـاندوتش الجُـبن، وهـو يهبـط أولى درجـات السـلم ، حـتى لا يتأخـر عـن العمـل، أغلقـت البـاب خلفـه، واتجهـت ناحيـة النافـذة بحركـة آليـة، فتحتهـا وتأملـت أرض الشـارع، والسـماء، ثـم أغلقتهـا جيـدًا، ودلفـت إلى سريرهـا، لتُكمـل نومهـا.


الموتى
يقرأون
الفاتحة

فتحت عيـني، لأجـد وجهـي مُغطًّـى بقطعـة قمـاش، أزحتُهـا، وحاولـت القيـام مـن نومـي، فاصطـدم رأسى بجـدار أو حائـط، فـوق رأسي بحـوالي نصـف مـتر، المـكان مُظلـم للغايـة، لا يوجـد بـه مَنفَـذ لقطعة ضـوء واحـدة، سـمعت صوتًـا قريبًـا مـنّي يقـول:

الصوت الأول: ماذا نأكل؟ أنا جوعان.

ثم ارتفع صوتان عن يميني..

الصـوت الثـاني: نعـم.. إنهـا ذكـرى وفـاتي.. لا أعـرف لمـاذا يأتـون في هـذا اليـوم، أنـا هنـا طـوال الوقـت، لا أبـرح مـكاني، وهـم يعرفونـه جيـدًا، لا أعـرف تحديـدًا كيـف يحددونـه، لكـن لا بـأس.

الصـوت الثالـث: لا أجـد صعوبـة في تحديـد المـكان، أعتقـد أن المهـم أنهـم سـيأتون، اجلـس وانتظرهـم.

الصوت الثاني: سنأكل ولكن انتظر قليلًا.

الصـوت الأول: اللـه حـيّ.. الأحيـاء فيهـم روح اللـه، أمـا نحـن... لا أريـد أن أقابـل أحـدًا منهـم.

الصوت الثالث: لماذا؟

الصوت الأول: إنهم بؤساء.

الصوت الثالث: ونحن؟

الصوت الأول: بؤساء أيضًا.. لم نأكل حتى الآن.

استغرقني الأمـر لحظـات، حـتى أستوعب مـا قيل، لـم أكن بحاجـة للسـؤال، كنـت أعـرف أنـني في القـبر الآن، تحسَّسـت المـكان جيـدًا، الـتراب يقـع أسـفل مـني، وأنـا مُغطًّـى بقطعـة قمـاش، لا بُـد أن لونهـا أبيـض، أزحتُهـا لأصبـح عاريًـا تمامًـا، أرحـتُ رأسي إلى الأرض أفكـر... انطلـق صـوتي قائـلًا: تتحدثـون الفصحـى!! لـم أعتـد عليهـا بتلـك الطريقـة.

الصوت الثاني: كخطبة الجمعة.

الصـوت الثالـث: نـشرة التاسـعة، ألـم تكـن تواظـب عـلى سـماعها، كنـت أواظـب عـلى سـماعها كل يـوم، رغـم أنـه لـم يكـن هنـاك جديـد، كل الأشـياء تكـرر نفسـها، لكـني لا أتذكـر منهـا شـيئًا الآن، وأحيانًـا مـا أسـمعها هنـا، فالأمـر لا يخلـو مـن بعـض الجرائـد.

الصوت الأول: لا أحب نشرة التاسعة، إنها بائسة.

كانـت هنـاك حركـة في الأعـلى، أعـلى رؤوسـنا، خطـوات قريبـة مـني، ارتفـع صـوت امـرأة تشـكو ابنهـا، تقـول أنـه تغـير في معاملتهـا كثـيرًا، ولـم يعُـد يذاكـر كمـا كان مـن قبـل، ثـم تحركـت سريعًـا، وهـي تدعـو عـلى زوجهـا، الـذي تركهـا في الدنيـا وحيـدة، لتصبـح أبـًا وأمًّـا معًـا، سـاد الصمـت ثـم ارتفـع صـوت امـرأة أخـرى، لكـن هـذه المـرة، كانـت زوجـتي، انطلـق صوتهـا يخـبرني، أنهـا ماتـت قبـلي بسـتة أشـهر. كنـت أعـرف أنهـا ماتـت قبـلي، لكـني لـم أكـن أعـرف المـدة الزمنيـة بـين موتهـا ومـوتي، أخبرتـني أنهـا أكـثر حريـة الآن، ولا بُـد لي أن أتـرك القـبر، فـلا أحـد يبقـى في القـبر للأبـد، ثـم بـدأ صوتهـا يأخـذ منحًـى أكـثر جديـة، أخبرتـني أن المنديـل الـذي أحتفـظ بـه، منـذ يـوم زفافنـا، قبـل عشريـن عامًـا تقريبًـا، ليـس لـه قيمـة، فبعـد أن اسـتأذنتني لدخـول الحمـام، قامـت باسـتخدام دبـوس، خدشـت بـه إصبـع قدمهـا، ثـم أمسـكت المنديـل، لطَّختـه بالدمـاء، ووضعتـه أسـفل منهـا... صمتـتْ ثـم أحسسـتُ بخطواتهـا تبتعـد.

نبشـتُ الأرض أسـفل مـني، وأخرجـت المنديـل، وألقيـت بـه بعيـدًا، كان صوتهـا بالتأكيـد وصـل إلى آذانهـم... خيَّـم الصمـت لفـترة، ثـم انطلـق صـوت أحدهـم..

الصوت الأول: سأصنع لنا الشاي.

الصـوت الثـاني: لقـد فقـدت عقلهـا، تـأتي لتدعـو عـليَّ، وكأنـني تركتهـا بكامـل رغبـتي، كمـا أن المشـكلة تكمـن في تربيتهـا

لـلأولاد.

الصوت الأول: الأحياء مزعجون، فليدَعونا وشأننا!

الصوت الثالـث: لا بُـد أنـك كنـت تقـوم بتدليلـه، حـين كان صغـيرًا بالتأكيـد .

الصوت الثاني: ربما... أنا مذنب إذًا؟

الصوت الأول: من قال ذلك؟

الصـوت الثـاني: هــو... يقــول لي أنــني مذنــب! لأنــني لــم أُحســن تربيتــه.

الصوت الأول: كيف لم تُحسن تربيته؟

الصــوت الثــاني: لا أدري، لا أتذكــر.. كان ذلــك منــذ زمــن بعيـد، تركتهمـا طفلـين صغيريـن، لكنـه يتذكـر جيـدًا اسـأله هـو، يقـول أنـني كنـت أُدلِّلـه، ويبـدو أن زوجـتي أيضًـا تعـرف ذلـك، أنـا الوحيـد الـذي لـم أكـن أعـرف أنـني مُذنـب!

رفعت صوتي ليسمعني الجميع: سأقتلها!

الصوت الثاني: لكنها ماتت بالفعل.

الصـوت الثالـث: لا يهـم دعـه يقتلهـا، كلنـا نمـوت أكـثر مـن مـرة، ربمـا نمـوت في اليـوم مـرة أو مرتـين... دعـه يفعـل... هـذا حقُّه .

سألتهم: وهل متُّ من قبل؟

الصـوت الثـاني: كلنـا متنـا مـن قبـل، وبمـا أنـك لا تختلـف عنَّـا كثـيرًا، فـلا بُـد أنـك أيضًـا مـتَّ مـن قبـل، وبمـا أنـه لا أحـد يسـتطيع أن يجـزم أنـك لـم تمُـت مـن قبـل، إذًا فإنـي أسـتطيع دون أدنى شـك، أن أخـبرك أنـك مـتَّ مـن قبـل.

قلـت: وإذا كنـتُ مـتُّ مـن قبـل، هـل جئـت إلى هنـا مـن قبـل؟

الصـوت الثـاني: إذا كنـت مـتَّ مـن قبـل، فـلا بُـد أنـك أتيـت إلى هنـا مـن قبـل، لكـن هـذه أول مـرة أراك فيهـا، ربمـا مـتَّ في وقـت لـم أكـن فيـه هنـا، وربمـا لـم تـأت أصـلًا، أو ربمـا لـم آتِ أنـا هنـا مـن قبـل، لأراك وأنـت هنـا مـن قبـل.

رددتُ: أنا لا أتذكر شيئًا.

الصـوت الثـاني: بمـا أنـك مـتَّ مـن قبـل، وهـذا مؤكَّـد كمـا قلـت أنـت، وجئـت إلى هنـا ككل المـوتى، فـلا بُـد أنـك رأيتنـا مـن قبـل، هـذا شيء مفـروغ منـه، المشـكلة أن ابـني لا يذاكـر وأنـا المذنـب الوحيـد، وليـس هنـاك إمكانيـة لحـل المشـكلة.

استطردتُ: أريد أن أخرج من هنا، لأقتلها وأقتله.

الصـوت الثـاني: هـل تعرفـه جيـدًا؟ لا بُـد أن تعـرف الشـخص جيـدًا لتعيـش معـه، فبعـد أن تقتلـه وتقتلهـا ستصبحون أمواتًـا جميعكـم، وقـد تتشـاركون قبـورًا متقاربـة، مثلنـا نحـن، تخيَّـل لـو أننـا لا نعـرف بعضنـا البعـض جيـدًا.

الصوت الأول: أنا لا أعرفكم .

الصـوت الثـاني: نحــن نعــرف بعضنــا البعــض جيــدًا، لا تصدِّقــه، فأنــا أعرفــك تمــام المعرفــة عــلى ســبيل المثــال!

اســتطردتُ: أنــا؟ ربمــا! لا يهــم أن أعرفــه، فقــد أقمــت علاقــة مــع إحداهــن، دون أن أعــرف اسـمها، كان ذلــك بعــد مــوت زوجــتي، أرســلها لي أحــد أصدقــائي، ليخفــف عــني.

الصـوت الثـاني: مَـن يخفِّـف عـني، أنـا الـذي أفسـدته، أنـا السـبب فيمـا يحـدث.

الصـوت الثالـث: أنـا غـير متأكـد أنـك كنـت تقـوم بتدليلـه، كان ذلـك اسـتنتاجًا، ولكـن بمـا أنـك مُـصِرّ عـلى أنـك أفسـدته، فيبــدو أن المســكينة كان لديهــا حــق، لقــد أفســدته، ولــم تُحســن يومًــا تربيتــه، كمــا أنــك كنــت تســاعده عــلى عصيــان والدتــه.

الصوت الأول: وهل كانت جميلة؟ وكيف تم الأمر؟

رددت : كان جمالهـا عظيمًـا.. حيـة تنبـض بالحيـاة، جعلتهـا ترتــدي السَّــواد، وتــأتي كأنهــا إحــدى المُعزّيــات، دلفــت إلى شــقتي، دون أن يشــعر بهــا الجــيران.

الصـوت الثـاني: لكنـك فعلـت ذلـك وزوجتـك ميتـة، أمـا هــي خانتــك وأنــت حــيٌّ تُــرزق.

الصــوت الثالــث: كان ذلــك قبــل أن تــراك؟ أم بعــد أن عرفتــك؟ أثنــاء الخطوبــة مثــلًا.

رددتُ: تزوجنا خلال أيام، لم تكن هناك خطوبة.

الصوت الثالث: إذًا لم تكن تعرفك، إذًا أنت كنت ميت بالنسبة إليها أليس كذلك؟

رددت :أنا كنت حيًّا، ألا تعرفون شيئًا سوى الموت.. الموت.. الموت.. أوووف!

الصوت الأول: أنا حزين.. الموت أثَّر فينا للغاية.

الصوت الثالث: لم تكن تعرفك وقتها، لم تتطلع على السجل المدني، لتعرف أنك حي، كما أنك فعلت ما فعلت، وهي أيضًا حية في مكان ما.

رددت: ظللتُ متزوجًا بها عشرين عامًا.. كان السرير أشبه بهذا القبر، التراب من الأسفل، وليس فيه موضع قدم، ثم في النهاية شيء يطبق على الصدر، وبعد ذلك كله أكتشف خيانتها، وبتلك الطريقة، حتى إنها لم تعتذر!

الصوت الأول: هذا أسوأ سرير رأيته في حياتي، أخبرني كيف كان السرير الآخر؟ (يضحك)

استطردتُ: شعرتُ معها أنّي وُلدتُ للتو.. شعرتُ أنني مُغطًّى بسائل أمي ودم أمي، أريد أن أبكي، وأتنفس النفس الأول.

الصوت الأول: لقد ماتت وتركتك لتعيش حياتك كما ينبغي.. لا بُد أن تشكرها.. دعكَ من الدراما التي تعيشها،

وأحـضِر لهـا هديـة.

رددت :لـو كان هـذا مـا حـدث بالفعـل، لأحـضرت هديـة كمـا تقـول.

الصـوت الأول: هــل أنجبتمــا طفــلًا؟ يمكــن أن تجعلــه يحمــل الهديــة إليهــا.

رددت :الحبـوب وأختهـا ذات الـرأس الكبـير، لـم تجعلنـا ننجـب، لا نسـتطيع أن نحكـم عـلى مـدى التشـوُّه الـذي قـد يحـدث، لا أحـد يسـتطيع أن يحكـم، كمـا أننـا لا نسـتطيع أن نثـق في الأطبـاء.

الصوت الأول: فكرت في هدية، يمكنني أن أساعدك.

رددت :لا جـدوى مـن الهدايـا، فأنـا لـم أعـش حيـاتي، كان السريـر ينبـض بالحيـاة، مـع تلـك المـرأة، لكنـني كنـت أشـبه برجــل عجــوز يتــكئ عــلى عصــاه، جســدي كلــه يتــكئ عليــه.. عليــه وحــده.. لذلــك ظــل نائمًــا أســفل مــني، لــم يســتيقظ رغـم كل مـا فعلَتْـه مـن أجـلي، في النهايـة لـم تخـلُ كلماتهـا مـن التوبيـخ، شـعرتُ بمـدى قسـوتها.

الصــوت الأول: لــم يحــدث شيء في النهايــة، إذًا حقــك أن تقتلهـا، لأنـه لـم يحـدث شيء في النهايـة.. يـا للأسـف الشـديد! إنـني آسـف جـدًّا لأني ذكَّرتُـك بأنـه لـم يحـدث شيء في النهايـة.

الصــوت الثالــث: يبــدو أنــك لــم تســتطع التخــلِّي عــن القــبر، ولــو لمــرة واحــدة.

الصـوت الثـاني: مـاذا أفعـل الآن، هـل أرسـل لزوجـتي وابـني الفاشـل هديـة، لأعتـذر عما حـدث مـني؟ فكـرة الهديـة أعجبتـني.

الصـوت الثالـث: مـاذا سـتفعل الهديـة بعـد أن أفسـدتَه، ودلَّلتَـه، ثـم في النهايـة قتلتـه!

الصوت الثاني: قتلته!

الصـوت الأول: يبـدو لي أنـك فعلـت. كل شيء يـدل عـلى ذلـك، الأمـر واضـح كالشـمس، كمـا أني أذكـر أنـك قلـت شـيئًا مـن هـذا القبيـل.

سألتهم: عمَّ تتحدثون؟

الصـوت الثـاني: أنـا قتلـت ابـني؟ أنـا قتلـت ابـني؟ (يبـدو مـن صوتـه أنه يبـكي).

الصـوت الأول: دعهـم إنهـم بؤسـاء، يبـدو أنك لم تسـتطع التخـلِّي عـن القـبر، ولـو لمـرة واحـدة كما قـال الرجـل، لكـن لا بـأس أنـا أحـب القـبر أيضًا.

الصـوت الثـاني: أنـا أيضًـا أحـب القـبر كثـيرًا، فقـد قتلـت ابـني كمـا يبـدو، لا أريـد أن أتـرك القـبر أبـدًا، فلـو تركـت القـبر سـأعود إلى تلـك المـرأة الـتي تدعـو عـليَّ في كل صبـاح، كمـا أنهم قـد يحاسـبونني ويقتلونـني عـلى قتـل ابـني، لا أريـد أن أمـوت، كمـا أنـني لـم أحـب تلـك المـرأة الـتي تحدثـت عنهـا، العاهـرات ممثـلات، يمكنـك بعـد فـترة وجـيزة الشـعور بزيفهـن.

الصوت الأول: والزوجات أيضًا مزيفات.

الصوت الثالث: وأنا أيضًا لم أحب تلك العاهرة.

الصوت الأول: وأنا أيضًا.. لقد كانت قاسية في النهاية.

الصوت الثالث: ألا ترى كم هو جميل القبر؟

الصوت الثاني: نعم.. أتفق معك.

الصوت الأول: وأنا أيضًا.

الصوت الثالث: وأنا أيضًا.




فنجان
شاي
بارد

اقترب من فنجان الشاي الموضوع على المائدة ببطء، فكَّر قليلًا قبل الإمساك به، أخذ يتأمل الشاي المتململ بين يديه للحظات، نظرتها المؤكدة له بضرورة شرب الشاى، قبل أن يبرد، كانت تقطع عليه حبل أفكاره، لكنه كان يثق بها، فهي خبيرة في علم الموت، يكفي أنها ماتت قبله بستة أشهر، كما أنه لا يعرف غيرها في تلك الحياة التي تلي الموت، فبعد خروجه من القبر، وجدها في انتظاره، ذهبا إلى بيتهما، لم يتغير فيه شيء.

_ انتي حاسَّة بحاجة؟

_ بمعنى؟

_ بعد الموت...

_ لا.. أنا مش حاسة بحاجة من فترة، اسأل حد غيري، لما تنزل تشتري طلبات البيت اسأل البقال.

_ انتي هتطبخي هنا؟

_ ليه مش هناكل؟!

ربتت على كتفه باستهزاء، وقامت من جلستها، بعد أن أنهت فنجان القهوة، لتضع الغسيل داخل الغسالة، وتضغط مفتاح التشغيل، فتبدأ دورانها المحموم.

_ إزاي أفرق بين الأحياء والموتى؟

_ مش مهم، اسأل أي حد.

_ فين الفلوس؟

_ في درج التسريحة، هتلاقيها وسط هدومي.

فتش بين ملابسها، وجد ثيابًا جديدة، لم يعهدها من قبل، التمع في عينيه بريق وسألها:

- انتي جبتي الحاجات الجديدة دي إمتى؟

ابتسمت بفم مُتَّجه ناحية اليسار، وهي تُطبق ورقة الطلبات في يده، دون أن تُجيب، وضعها في جيب الجاكت، وخرج سريعًا إلى الشارع، وقف عند الخضري، وسأله «بكام البطاطس»، ولم يفاصله، اشترى كيلو، حاول أكثر من مرة أن يخرج عن سياق الشراء، ويسأله عما إذا كان يشعر بشيء، لكنه تردد، غادره دون أن يسأله، الشوارع مزدحمة للغاية، والرجل العجوز القابع في زاوية الشارع ينظر إلى السيارات المتحركة، ولا يعبُر، أسرع إليه، دومًا ما توجد مساحة للحديث عند مساعدة الآخرين، أمسك بيده

ليعـبر بـه الطريـق..

_ ربنا يبارك في عمرك يا بني.

_ انت حاسس بحاجة يا حاج؟

_ طبعًا.

_ طب إيه هو؟

_ تقلُّصات على فترات متقطِّعة.

_ ورحت لدكتور لحل المشكلة دي؟

_ لا.. اتعـودت لدرجـة إني مـا بقيتـش بحـسّ بيهـا، رغـم إني متأكـد مـن وجودهـا، أنـا مبسـوط إني نجحـت في ده، في البدايـة كنـت بتجاهلهـا، دلوقـتي مـا بقيتـش أحـس بيهـا خالـص، أنـا صحـتي كويسـة دلوقـتي، ومـش حاسـس بحاجـة.

عـبر بـه جانبًـا واحـدًا مـن الطريـق، وتركـه ليعـبر الجانـب الآخـر دون مسـاعدة، وسـط ذهـول الرجـل، الـذي اختـلَّ توازنـه مـن المفاجـأة. عـاد إلى الخـضري ليشـتري لـوازم صينيـة البطاطـس.

***

_ بيحـس بتقلصـات! وأنـا مـال أهـلي؟ أول مـا سـمعت منـه الـكلام ده، كنـت عايـز أرميـه للعربيـات تدهسـه.

_ أنا ساعات بحس بتقلُّصات على فترات متقطعة.

_ بس!

_ وانت برده تلاقيك بتحس بيها من غير ما تحس، ايه عجبتك البطاطس؟

_ بطاطس...

وضع معلقتين كبيرتين من البطاطس على طبق الأرز، أكله حتى نهايته، ثم قام من جلسته، ليضع الماء على النار، ليصنع لهما فنجانين من الشاي.





تركت ثدييها على ترابيزة السُّفرة، كما اشترط عليها زوجها، كي تذهب إلى أبيها المريض، سيعطيان -رغم ترهُّلهما- منظرًا جميلًا للشقة. دخلت حجرتها وارتدت ثيابها، التي كانت بطبعها واسعة، والتي صارت أكثر وسعًا، خلعت ثيابها ثانيةً وتأملت جسدها بلا ثديين، سيصبح شكلها مضحكًا وهي تسير بثياب واسعة للغاية. ارتدت حمَّالة صدر، وفكرت في حشوها بأي شيء، خطر ببالها أن تضع بعض الأكياس، فتَّشت في المطبخ، لم تعثر إلا على أكياس سوداء للقمامة، لم تُستخدَم بعدُ، وضعتها وارتدت ثيابها، لكنها سمعت خروشة الأكياس عند الحركة، إذًا أقمشة! فتحت درج التسريحة لم تجد سوى الخِرق، التي تستخدمها لحبس دماء دورتها، حلق أمها، أطراف شعرها، الذي تقصُّه أول كل شهر هجري، بعض ما تبقَّى من مرتبها، شهادة وفاتها، وضعتهم جميعًا في صدريَّتها ورحلت.

قـد لا يتذكـر أبوهـا، إنـه محجـوز الآن، في نفـس المستشـفى الـذي توفيـت هـي فيـه، وقـد لا يتذكرهـا أيضـا، دلفـت إلى داخـل المستشـفى، كلمـا أوقفهـا رجـل أمـن أظهـرت له شـهادة وفاتهـا فيجعلهـا تمـر، فتحـت بـاب الحجـرة، كان أبوهـا راقـدًا في سريـر مُتَّسـخ، المسـكين كلمـا قـال أنـه سـيموت، لا يمـوت، هـو الوحيـد البـاقي مـن عائلتهـا الصغـيرة، الرائحـة خانقـة. وجـدت عـلى السريـر بامـبرز مقـاس كبـير، تأمَّلـت جلبـاب أبيهـا المخطـط المتَّسـخ، وتناولـت البامـبرز، مسـتخدمة بعض المناديـل والخِـرَق الـتي معهـا، ثـم غسـلت يديهـا، بعـد أن ألبسـته سرواله، تاركـة جلبابـه الأزرق المخطـط عـلى حالتـه، فهـي لا تـكاد تعـرف أباهـا مـن دونـه.

وضعـت داخـل جيبـه بقايـا مرتبهـا وحلـق أمهـا، صـارت صدريتهـا فارغـة، حـشرت يدهـا داخـل ملابسـها وخلعتهـا، ثم ألقـت بهـا مـن نافـذة الحجـرة لتسـقط في فنـاء المستشـفى، المـرارة هـي الـتي أتـت بهـا هنـا مـن قبـل.

***

دخلـت شـقتها، كانـت تعـرف جيـدًا أنـه منـذ وفاتهمـا، وهما يعيشـان معًـا، لـم يقابـلا أحـدًا مـن أهلـه أو أهلهـا. حـين دخلـت، هـبَّ واقفًـا لمقابلتهـا، واحتضنهـا بشـدة، يعاتبهـا غيابهـا عنـه، فقـد ظـل وحـده طـوال فـترة غيابهـا. اقتربـت مـن

ترابـيزة السُّـفرة، وهــي تعتــذر لــه عــن تأخرهــا، كانــت خاليــة إلا مــن بعــض الــورد الطبيعــي المجفــف، تحسَّســت صدرهــا الخــالي، وهــي تدلــف إلى حجــرة نومهــا، خلعــت عباءتهــا. الشــق الــذي في جانبهــا الأيمــن، يــترك ندبًــا عميقًــا، يومهــا غــرس الطبيــب ســن الإبــرة في وريدهــا، وحقنهــا بالمخــدر، ثــم قــام بشــق جانبهــا الأيمــن، لــم تســتطع أن تخبرهــم بهــدوء، وهــم يرفعــون كليتهــا اليُمــنى، أنهــا دخلــت لتُجــرى عمليــة المــرارة، لكنهــم لحســن حظهــا، قامــوا بخلــع المــرارة مــن مكانهــا أيضًــا، فاطمأنــت أن الألــم الــذي يأتيهــا بعــد كل وجبــة، لــن يتكــرر ثانيــةً. انتبهــت إليــه، وهــو يتحسَّــس جســدَها، وتتحــرك يــده إلى النــدب، الــذي كانــت تــراه قبيحًــا للغايــة، لكنهــا تعــرف أنــه يعجبــه بشــدة.


ثلاث ضفائر

كان المطـر يهطـل، حـين قـرر كلاهمـا أن يجريـا تحـت المطر، لا أحـد يتذكـر مَـن فيهما صاحـب الفكـرة، وكأنهمـا اسـتيقظا وهمـا يجريـان تحـت المطـر، الشيء الوحيـد الـذي يعرفانـه جيـدًا، أن الشـارع الـذي يسـكنان فيـه، لـن يسـمح بمثـل ذلـك، لـو أنهمـا كانـا عـلى قيـد الحيـاة سـيصبحان، بعـد دقيقـة واحـدة، أضحوكـة الجميـع.

لحقـت بـه وهـو يقفـز تحـت المطـر، ويخلـع القميـص عنـه، ليصبـح نصـف جسـده عاريًـا تمامًـا، لتسـتقر قطـرات المطـر عـلى بشرتـه السَّـمراء، وتعطـي جسـده ملمسًـا ناعمًـا، خلعـت هـي الأخـرى بلوزتهـا وطرحتهـا، وفكَّـت ضفيرتهـا الطويلـة، ليبتـلَّ شـعرها تحـت قطـرات المطـر، وتبـدو كسراتـه المتعـددة، انتبـه إليهـا، ونظـر بفـزع، لكنهـا أخبرتـه بهـدوء أنـه لا أحـد يراهمـا، نظـر إلى المارّيـن في الشـارع ، بالفعـل لـم يكـن أحـد يلحظهمـا، وكأنهمـا شـبحين!

أومـأ برأسـه بعـد لحظـة مـن التفكـير «هيجيلـك بـرد.. مـا تخلعيـش حاجـة تانيـة، إلا لما تقـولي لي، حـتى لـو مـا حـدّش شـايفنا». ربتـت عـلى كتفـه، كمـن تحـاول اسـتعطافه، انطلـق ثانيـةً يجـري، ويضحـك، خلـع بنطالـه، ووضـع ملابسـه تحـت إبطـه، تـاركًا ملابسـه الداخليـة عـلى حالهـا، ابتسـمت وبـدأت في خلـع ثيابهـا تمامًـا، ووضعتهـا في أقـرب صنـدوق للقمامـة قابلهـا، بينمـا كان يتقدَّمهـا في الجـري، ارتمـت في أرض الشـارع، وجلـس هـو بجوارهـا، ليفاجـأ بهـا عاريـةً تمامـا! فتـح فمـه عـن آخـره... «يـا ولاد الكلـب.. يـا ولاد الوسـخة»!

نظـر لأعـلى حيـث مصـدر الصـوت، كان الصـوت صـادرًا مـن امـرأة، تقـع في بالكـون بالـدور الأول، كان المنظـر مفجعًـا، الجميـع رجـالًا ونسـاءً وأطفـالًا يتأملونهمـا، بعـين حاقـدة مشـتعلة، ثانيـة واحـدة وتوالـت الشـتائم، قامـا مـن عـلى الأسـفلت، الطوابـير تحاصرهمـا، أمسـك يدهـا وجعلهـا خلفـه، كأنـه يُخفـي بجسـده مـا بـدا منهـا لهـم، أخـذا يجريـان وسـط صخـب عظيـم، مـن يـا ولاد الكلـب يـا ولاد الوسـخة.. ثـم سرعـان مـا تحـول إلى يـا ولاد الكلـب يـا ولاد الوسـخة ورمـي بالحجـارة. اختبـأ كلاهمـا، داخـل إحـدى العمائـر القابعـة تحـت الإنشـاء، وهمـا يرقبـان مـن الداخـل، الطابـور الـذي لا يبـدو لـه نهايـة، والـذي لا يتوقـف، حـتى بعـد اختبائهمـا.

قطـرات المطـر عـلى جسـديهما، اصطبغـت بالأحمـر، كان الـدم يـنزف مـن جسـديهما، أخـذت تمسـح وجههـا وتبـكي.

_ مش قلتلك ماتقلعيش من غير ما أقول لك؟

قـام مـن جوارهـا، وألقـى ملابسـه، الـتي ظلـت طـوال الوقـت تحـت إبطـه عـلى وجهها، لكنهـا لـم تتناولها سريعًـا، تركتهـا تُخفـي وجههـا للحظـات.

_ فين هدومك؟ كمان ضيعتيها!

أمسكت ثيابه، وارتدتها في صمت.

_ أنا هاروّح أنا تعبان وعايز أنام.

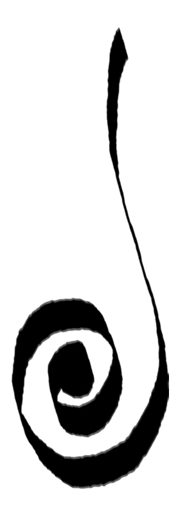
_ أنا عايزة أقعد جنب قبري شوية.. عاااااطسي

أخـذت تمسـح قطـرات الـدم بكُـمّ القميـص، وهـي متكوِّمـة بجـوار الحائـط، بينمـا كان يُـسرع الخُطـى، عاريًـا إلا مـن ملابسـه الداخليـة، ويُغمغـم بكلمـات غـير مفهومـة.

وصلـت إلى المقابـر، كان الوقـت ليـلًا، أخـذت تـدور بحثًـا عـن قبرهـا، هـل سرقـوا سبيل المـاء الـذي تحفـظ بـه طريـق قبرهـا؟ مدفـن الحـاج صالـح عبـد التـواب وعائلتـه.. وقـف الحاجـة فاطمة السـيد.. سـعد مـبروك الشحات 1929– 2000م.

أخـذت تـدور.. اختلطـت الأسـماء في رأسـها، انتبهـت إلى مـواء بعـض القطـط، اتجهـت نحوهـم، كانـوا ملتفّـين حـول بقعـة أرض بـين مقبرتـين، وينبشـون في الـتراب جميعًـا، في هـوس محمـوم، اقتربـت منهـم، تهشّـهم عـن تلـك البقعـة، وأخـذت تنبـش في الأرض لتعـرف مـا الأمـر، تحسَّسـت

وسـط الـتراب ثـلاث ضفائـر، إنهـا جثـة امـرأة، زاد ذلـك مـن حماسـتها، حـتى جعلتهـا تطفـو كليـةً أمامهـا، بعـد أن أزاحـت عنهـا الـتراب، لـم يكـن هنـاك أثـر لكفـن، فقـط جلابيـة، لا يبـدو لونهـا مـن كـثرة الـتراب العالـق بهـا، أسرعـت قبـل أن ينتبـه لهـا أحـد، خلعـت ثيـاب زوجهـا، وألبسـتها للمـرأة الـتي لا تعرفهـا، وأخـذت جلابيتهـا، وهـي تبتسـم بفـم مفتـوح عـن آخـره، كانـت الجلابيـة بهـا رائحـة المـرأة والـتراب، يكفـي بالنسـبة إليهـا أنهـا رأتهـا وهـي ميتـة، وأتمَّـت دفنهـا عـلى مسـتوى لا يصـل إليـه القطـط ، حـتى لا يزعجـوا موتهـا، انطلقـت سريعًـا قبـل أن يراهـا أحـد، أخـذت يداها تتحسَّـسان الجلابيـة، صـار جسـدها مُغطًّـى بالغبـار، مـا ولَّـد لديهـا رغبـة في الجـري والـصراخ عاليًـا، نسـيتْ أمـرَ قبرهـا، وأخـذت تعـدو، تاركـةً البقعـة الـتي أتمَّـت فيهـا دفـن ملابـس زوجهـا، بداخلهـا تلـك المـرأة المجهولـة، وخلفهـا عـشرات القطـط، الـتي ظلـت تُصـدر مـواء، يصـل مـا بـين أرض الشـارع والسَّـماء، وسـط ضحكاتهـا العاليـة.




الجنة قد تكون بمحاذاة النوافذ!

كل شيء صار يحمل خطوطًا زرقاء، باب بيتنا.. خطوات أمي الليلية على أرضية الحجرة.. جلباب أبي الذي كان يرتديه، وهو يدفن أختي الصغيرة.. قميص أمي داخل مستشفى المعمورة.. رأس أختي الكبير.. عيني التي لم تذُق النوم، لثلاث سنوات متواصلة.. يد جارتي وهي تضرب أمي لتمنعها من النافذة .. يدي بعد أن صِرتُ أتولَّى أنا ضرب أمي.. الجنة التي قد تتسع لنا جميعًا.

كانت أمي جالسة تصنع لنا الفطير، وأختي تسند رأسها الكبير على كتفي، وتهمس لي من حين لآخر، أبي جالس يعبث في إصبع قدمه اليُمنى، مرتديًا جلبابه الأزرق المخطط كالعادة، وكان زوجي يقرأ الجريدة باهتمام، وكأن شيئًا جديدًا يحدث، لا أدري تحديدًا كم مرَّ من الوقت، ونحن كذلك جميعًا، ولا كيف اجتمعنا جميعًا بعد الموت في بيت واحد، بيتنا القديم، يبدو أن كل محاولاتي في عدم مقابلتهم باءت بالفشل، تركت مكاني، لأذهب إلى النافدة، أستنشق بعض الهواء، استبدلت أختي كتفي بكتف

الحائـط، تُسـند رأسـها عليـه، وتتحـرك نحـو الحائـط، بحركـة بـدت منتظمـة، وكأنهـا تهمـس مـن حـين لآخـر، تأملـت أرض الشـارع، كان الشـارع يضـج بطوابـير كثـيرة، كانـت عـلى مـدى الشـوف.

خطـوة.. اثنتـان.. ثـلاث.. عـشرة... عـشر خطـوات هـي المسـافة بـين مـكان جلـوسي والنافـذة، وعـشرة أُخَـر بـين مـكان جلـوسي وأرض الشـارع، هممـتُ بارتـداء ثيـابي، سـألت زوجـي أن يرافقـني، لكنـه أخـبرني أنـه سـيلحق بي، بعـد أن ينتهـي مـن الجريـدة. تركـت أمـي العجـين، وذهبـت تغسـل يدهـا، وبـدا لي أنهـا تـود المجـيء معـي، أوقفتهـا بإشـارة مـن يـدي، وقلـت لهـا في تحـدٍّ واضـح: لا أريـدك...

أومـأت أمـي برأسـها مستسـلمةً، وعـادت بحركـة آليـة إلى العجـين، تضـع عليـه بعـض المـاء، وتغـرس يدهـا بداخلـه، تحرَّكـت سريعًـا هبوطًـا إلى أرض الشـارع، كان الزحـام هائـلًا، وكذلـك الضوضـاء، بـدا لي البعـض أنـه لا يعـرف لـم يقـف هنـا تحديـدًا، والبعـض الآخـر يعـرف مـا يريـده بالضبـط، وكأنـه ذهـب إلى أول الطابـور ورأى، الرؤيـة بالنسـبة لي غـير ممكنـة، لـم أتجـرأ عـلى السـؤال البدهـي «انتـم واقفـين هنـا ليـه!»

عدلـت مـن وضـع طرحـتي، صعـدت درجـات السـلَّم ثانيـة، دلفـت إلى الحجـرة، لأرتـدي ثوبًـا أوسـع، أخـذت ثـوب أمـي، واتجهـت إليهـا، أضعـه في حجرهـا، كانـت لا تـزال تغـرس يدهـا

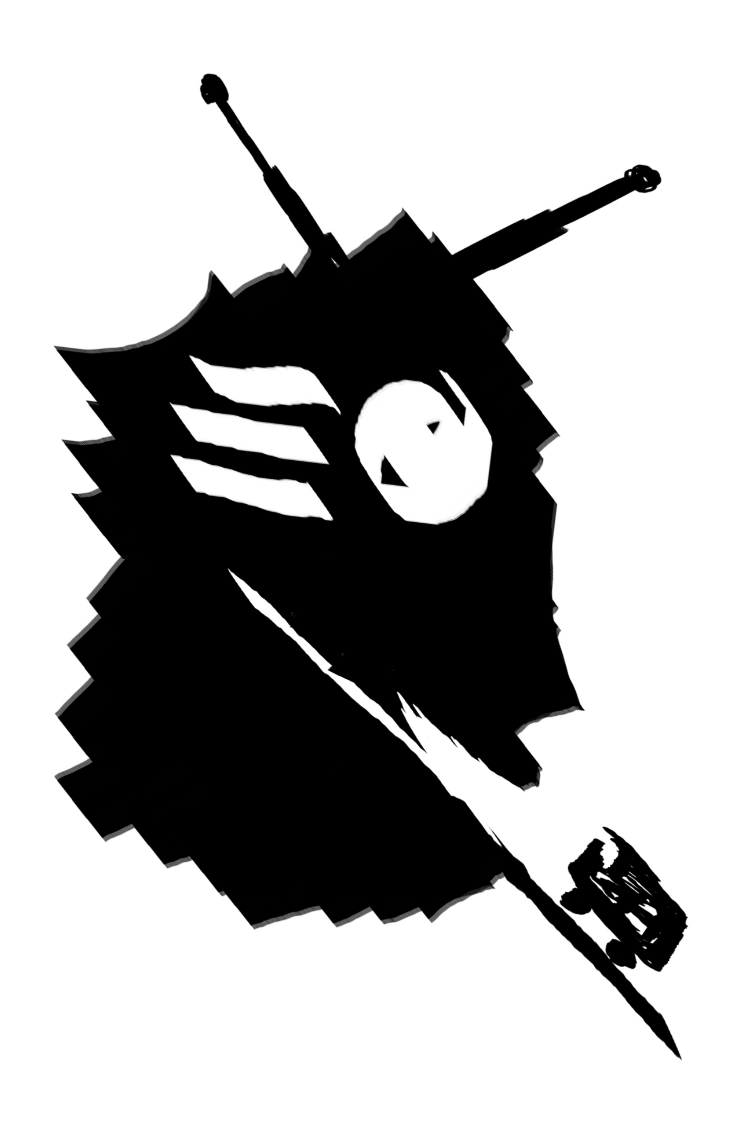
في العجين، ارتفع صوتي قائلًا: كلما نظرت إلى المرآة رأيتك، ربما لو كنت معي أرى نفسي....

همَّت من رقدتها فرحةً، هبطنا درجات السلم إلى الشارع، ظللنا نسير محاولين الوصول إلى أول الطابور، حتى أنهكنا التعب دون جدوى، كان الطابور طويلًا جدًّا، لا نرى له أول، أخبرتني أمي أنه لا جدوى، ما الجديد هنا أو هناك، اشتعلت برأسي فكرة، شبكت أصابعي، وصنعت بيدي خطوة أخرى، ربما هي الخطوة الحادية عشرة، لتصعد أمي عليها وتقفز فوقي، سألتها عمَّا تراه في الأعلى، لكني لم أسمع إجابتها، من فرط الهرج الذي حدث حولنا، بدأ الناس يقفزون على بعضهم البعض، ويشبكون أيديهم، ليصنعوا طوابير رأسية، طوابير للأعلى، بدلًا من تلك الطوابير الأرضية، التي لا جدوى منها، أصبح الناس في محاذاة النوافذ، أخذ الناس يقفزون فوق أمي، كان طابورنا هو الأول، وصار الأعلى أيضًا.

كلما ازداد ارتفاع الطابور، كلما شعرت أنا وأمي، بالانضغاط في الأسفل، وكلما اقتربنا أكثر من أرض الشارع، تحسَّست بطني التي كانت ترتفع مع مرور الوقت، وشعرت أني أحتاج ثوبًا أوسع، بدأ مَن في بطني يتحرك، أحسّ بركلاتها.. أشعر أنها فتاة.. تمنَّيت لو أن أمي بجواري الآن، تحتضنني وتعلمني كيف أتعامل مع الطفلة التي ستأتي إلى الحياة، حاولت أن أنظر للأعلى، لأرى نهاية الطابور، كان

الطابـور عـلى مـدى الشـوف... الرؤيـة غـير ممكنـة، اكتفيـت بالنظـر إلى عيـني أمـي، تحسَّسـت بطـني، وابتسـمت بجانـب فمـي الأيـسر.





حياة أخيرة

أغلقت الراديو بعد أن أعلن مسئول الموتى عن أسفه الشديد لكل ما حدث، وعبَّر عن ذلك بجُملته المعتادة، والتي يقولها كلما حدث أمر مشابه:

«أنا ميت ومُضرب عن العمل لحين العمل على إصلاح الأوضاع، أدعو الجميع للالتفاف حولي، والموت والإضراب مثلي، فلا أحد يستطيع أن يوقفنا إذا اتحدنا معًا، لا أحد يستطيع إيقاف الطريق الصاعد!»



قاصة وطبيبة مصرية، من مواليد الإسكندرية 1988م، تخرجت في كلية الطب جامعة الإسكندرية، صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان "نقوش حول جدارية" عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.



صدر عن دار الربيع العربي

2015

دافنشي- دراسة تحليلية لذكريات طفل، سيجموند فرويد، دراسة

الأوركسترا الليلية، رضا قاسمي، رواية

السهم الزمني، مارتن أميس، رواية مترجمة

برج العذراء، إبراهيم عبد المجيد، رواية

ذاكرة الحكائين، أمير تاج السر، مقالات

أهواك، أشرف الخمايسي، قصص

الصنم، أشرف الخمايسي، رواية

ريمورا، غسان حمدان، رواية

خطايا الآلهة، أدهم العبودي، رواية

L for life, love and in between, Loaiy A. Tageldin, Short stories

2014

طهران..الضوء القاتم، أمير حسن جهلتن، رواية مترجمة
صياد الملائكة، هدرا جرجس، رواية
أبابيل، شريف عبد الهادي، رواية
الطيبيون، أدهم العبودي، رواية
النوم مع الغرباء، بهاء عبد المجيد، رواية
تقتلني أو أكتبها، عبد الصبور بدر، قصص
صف واحد موازي للوجع، ممدوح زيكا، شعر عامية
بنادورا، ميسرة صلاح الدين، مسرحية شعرية
لا شيء لي، محمد رجب، شعر

2013

بريود، محمد متولي، قصص
القاهرة، أحمد بخيت، ملحمة شعرية
آخـر أحـلام الدانتـيل، معتز هاني، نصوص
شفرة فرويد، رامي جان، رواية
الوشم المقدس، شادي المحمودي، شعر

2012

ملك وامرأة وإله، نوال السعداوي، مقالات وقصص
آيات علمانية، عماد نصر ذكري، مقالات
الشوارع الجانبية للميدان، طارق مصطفى، متتالية قصصية
قميص جامعة الدول، أحمد الواصل، قصص
أورارا، فضل ساسي، رواية